

زربية جبل العمور بأفلو أواخر القرن 19م وأوائل القرن 20م The carpet of Djebel Amour in Aflou late 19th century and early 20th

فاطمة دجاج

جامعة عمار ثليجي بالأغواط (الجزائر)، fatimadjadj90@gmail.com

تاريخ الاستلام : 2021/02/09 ؛ تاريخ القبول : 2022/03/23 ؛ تاريخ النشر : 2022/06/12

Abstract

The article is a historical cultural study as it deals with one of the types of carpets in Algeria, and it is the carpet of djebel amour, which is a real artistic painting that won wide fame that exceeded the borders of the region to occupy the top spot globally. Inspired by the local nature and its harmonious designs and motifs that carry local touches that gave them their aesthetic value, colors and expressive designs suggest their originality and longevity. And the inhabitants of the region in his body carpets and has been able to maintain its authenticity and originality to this day.

Keywords: The craft of weaving, the carpet of djebel amour, the Aflou region, the motifs, the colors, the occupation.

المخلص

المقالة عبارة عن دراسة تاريخية ثقافية، باعتبارها تتناول أحد أنواع الزرابي في الجزائر، وهي زربية جبل العمور التي تعد لوحة فنية حقيقية، نالت شهرة واسعة تجاوزت حدود المنطقة لتحتل الصدارة عالميا، سميت بزربية جبل العمور نسبة الى مكان صنعها، وهو جبل العمور في الأطلس الصحراوي الجزائري، تتميز بتناسق ألوانها المستوحاة من الطبيعة المحلية، و تصاميمها و زخارفها المنسجمة، التي تحمل لمسات محلية أعطتها قيمتها الجمالية، و ألوانها و تصاميمها المعبرة توحى بأصالتها و عراقتها، فهي تمتد الى عمق التاريخ حيث تمثل تمازج حضاري، و تآلف اجتماعي عرفته المنطقة عبر تاريخها الطويل، و الذي جسده سكان المنطقة في زربيتهم، و قد استطاعت الحفاظ على أصالتها و عراقتها الى يومنا هذا.

الكلمات المفتاحية: حرفة النسيج، زربية جبل العمور، منطقة أفلو، الزخارف، الألوان، الاحتلال.

*المؤلف المراسل.

مقدمة:

تزخر الجزائر بتراث ثقافي أصيل ومتنوع، ومن أبرز مظاهره التراث المادي، حيث تهتم هذه الدراسة بأحد أهم جوانبه، التي طالما ارتبطت بحياة الانسان وعبرت عنها، ألا وهي حرفة النسيج. و تهتم هذه الدراسة بالتحديد بزربية جبل العمور ذات الشهرة الواسعة بمنطقة أفلو، وذلك في أواخر القرن 19م و النصف الأول من القرن 20م. و تكمن أهمية حيث هذه الحرفة، في كونها تحتزن الكثير من المعارف و المهارات، التي اكتسبها السكان على مر التاريخ، وعملوا على تجسيدها في زرايبهم، وكانت نتاج حاجات تتطلبها حياتهم اليومية، و نتاج فن مارسوه لملء أوقات فراغهم، لهذا فهي تحمل زخما فنيا و ثقافيا و اثنيا، يشهد على ابداع الانسان و تطوره عبر الزمن، فكانت زربية جبل العمور لوحة فنية، حملت رموزا و ألوانا معبرة، كما حملت قيما اجتماعية وثقافية، و احتوت تقاليد عريقة أمازيغية ثم عربية و بعدها عثمانية، هذه المؤثرات المتعددة أعطتها خصوصيتها، التي ميزتها عن غيرها من الزرايب الجزائرية. ومع بداية الاحتلال الفرنسي للمنطقة فانه عمل على الاستفادة من زربية جبل العمور، وتسخيرها لمصاحبه التجارية، من خلال مشاريع ودراسات للاستثمار في هذه الحرفة. وعليه فان الاشكالية التي تطرحها الدراسة تتمثل في التساؤل التالي: هل استطاعت زربية جبل العمور تجسيد الارث الحضاري لمنطقة أفلو؟

وللإجابة على الاشكالية المطروحة لابد من الاجابة على مجموعة من الأسئلة الفرعية منها:

- الى أي مدى ساهمت العناصر البشرية والطبيعية في تطور زربية جبل العمور؟ وماهي خصائص ومميزات زربية جبل العمور؟
- ماهي عوامل تميز زربية جبل العمور ثم استمراريته وحفاظها على عراقتها عبر العصور؟
- ماهي المشاريع والدراسات الاستعمارية المسطرة للاستفادة من زربية جبل العمور؟ وكيف أثرت على هذه الحرفة؟

I. حرفة النسيج في منطقة أفلو¹ بجبل العمور :

تضرب حرفة النسيج في الجزائر بجذورها في أعماق التاريخ، حيث عرف سكان الجزائر من الأمازيغ النسيج قبل الاحتلال الروماني، ثم شهدت هذه الحرفة تطورا مع الفتح

الاسلامي، اذ أدخل المسلمون الزرابي ذات الغرزة المعقودة الى الجزائر. (Murusia, 9 Année, 1928, p. 895) و قبل ذلك كان الأمازيغ ينسجون الزرابي الملساء ذات الصوف القصير، و نتج عن ذلك اندماج الحرفتين معا، و أصبحت الزرابي الجزائرية تحمل تأثيرين أمازيغي و عربي.

و قد اكتسبت صناعة الزرابي في الجزائر أهمية كبيرة، ليس من حيث كمية الانتاج فقط بل، من حيث القيمة الفنية خاصة خلال القرن 19م، عندما احتلت الأقمشة الصوفية الجزائرية الصدارة في منطقة البحر الأبيض المتوسط (Murusia, 9 Année, 1928 p. 897)

ثم ان حرفة النسيج شهدت انتشارا واسعا في مختلف مناطق الجزائر، بل كانت الحرفة الأكثر شهرة من حيث الانتشار و الممارسة في البوادي و المدن، و سبب ذلك هو توفر المادة الأولية التي تقوم عليها الحرفة و هي الصوف الوفير (4) G.Trouvette, 1930, p. ، و الاعتماد على الصباغة الطبيعية، اضافة الى توفر اليد العاملة ذات المهارة و التي تتوارث حرفة النسيج، بل لقد كانت المنازل و الخيام عبارة عن مراكز صغيرة لإنتاج المنسوجات على اختلافها (Murusia, 9 Année, 1928, p. 895).

و تعتبر منطقة أفلو بجبل العمور² واحدة من المناطق الجزائرية التي اشتهرت بحرفة النسيج، و لعل أبرز حرفة شهدت رواجاً و انتشاراً واسعاً بين سكان هذه المنطقة هي السجاد، أو ما يعرف بزربية جبل العمور و التي تعرف محليا بالفراش و الفراشية، و هي سجاد من الصوف العالي (الخملة) استعمله سكان المنطقة البدو و المستقرين منهم، كغطاء و كفراش في نفس الوقت، ففي الشتاء الذي يتميز بقسوته في هذه المنطقة، استعمل كغطاء من جهة الصوف المرتفع (الخملة)، و في الصيف يقلب على الجهة الملساء (العظم) و يستعمل كفراش. و عليه فان هذا السجاد يمكن استعماله في مختلف فصول السنة و الاستفادة منه مهما كان نمط حياة السكان (Dermenchem, 1960, p. 175).

لقد كانت زربية جبل العمور تنسج في الخيام وفي القصور بمنطقة جبل العمور بما فيها أفلو، اضافة الى منسوجات أخرى تحتاجها العائلات للاستعمال اليومي كملابس أو كأثاث ضروري للخيام وللنمازل، و من القصور التي اشتهرت بممارسة هذه الحرفة نذكر مثلا مدينة أفلو وقصر تاويالة³ وقصر تاجرونة⁴، اضافة الى العديد من القبائل البدوية⁵ كأولاد سيدي حمزة وأولاد سيدي ابراهيم وأولاد ميمون الغرابة والعجلات. والقبائل التي لا تمارس

هذه الحرفة، فإنها تعمل على شراء المنتوجات النسيجية من القصور أو من القبائل التي تمارسها، مثلا قمامة القعدة وأولاد يعقوب الزرارة يشترون ما يحتاجون اليه من منسوجات من قصر تاويالة وقصر تاجرونة.

زربية جبل العمور لا تنسج في أفلو فقط بل في الأغواط⁶ و عين ماضي⁷، كما تنسج في البيض و أولاد نايل في الغرب (Despois, 1957, p. 70)، و خلال القرن 20م كانت منطقة أفلو هي المركز الوحيد و الهام الذي عرف ازدهارا في حرفة النسيج بصفة عامة، وزربية جبل العمور بصفة خاصة التي شهدت رواجاً واسعاً، فما هي العوامل التي ساهمت في ازدهار الانتاج و لمصلحة من كان ذلك؟ وهذا ما نعمل على توضيحه لاحقاً. (Maguelonne, 1970,)

و عموماً الزراري ذات الصوف العالي كانت منتشرة في مختلف مناطق الجزائر، كسطيف و بوسعادة و الشلالة و أفلو و تيارت و القالة و تلمسان و غيرها، و من حيث تقنية الصنع كانت تشبه السجاد التونسي (G.Trouvette, 1930, p. 4). ولعل زربية جبل العمور بأفلو تشبه زربية قرقر بجنوب قسنطينة في نقطتين رئيسيتين وهما: أن كلاهما يتم نسجه تحت اشراف فنان ومصمم محلي يدعى (الرقام)، نتحدث عن دوره في العناصر الموالية. كما أن كل منهما من الصوف العالي و تنسجان في منازل من يستخدمونها (Bel, 1931, p. 373). ولا شك أن عملية النسيج تمر بالعديد من المراحل المتكاملة يمكن ايجازها في ثلاث مراحل والتي تتمثل في مرحلة تحضير المادة الخام ثم تليها مرحلة تحضير المنسج وأخيراً مرحلة النسيج التي تخضع لتقنية معينة حسب طبيعة النسيج وهذا ما تعمل العناصر التالية على توضيحه.

II. زربية جبل العمور من الصوف الى الرقمة :

1.II - المواد الخام و طريقة اعدادها:

أ-الصوف: يعتبر الصوف أهم مكون لعملية النسيج، هذه المادة تنتجها القبائل البدوية التي تملك قطعان كبيرة من المواشي كالأرباع وأولاد يعقوب، حيث تستعمله لنسج ما تحتاجه من ملابس وأثاث للخيام (دوماس، 2013، الصفحات 70-71). كما أن الصوف يعتبر المصدر الأساسي بالنسبة لسكان القصور أيضاً لصناعتهم النسيجية حيث يقومون بشراؤه منهم، و الواحات التي تملك رؤوساً قليلة من الماشية فتحصل على الصوف عن طريق المقايضة، فتقدم مثلاً عدداً من الألبسة الجاهزة للبدو مقابل عدد من الجزر

(فيليكس، 2013، صفحة 271) و بالتالي تعتمد حرفة النسيج على الثروة الحيوانية باعتبارها المصدر الأساسي لإنتاج الصوف، و تمتلك قبائل أفلو العديد من قطعان الأغنام ذات الصوف الناعم و القصير، حيث يمضي البدو فصل الشتاء في الجنوب، و يعودون في الربيع و هي فترة جز الأغنام فيبيعون نصف الصوف في الأسواق، و يترك نصفه لتسجحه نساء القبيلة حيث يتم انتاج كميات كبيرة من زرابي جبل العمور (Gustave Couput, 1889, p. 55). ولا يوجد فرق كبير بين الصوف الذي تنتجه قطعان منطقة أفلو من حيث النوع، سواء بالنسبة للقطعان التي ترعى في الهضاب العليا، أو تلك التي ترعى في الصحراء، و اذا كان الصوف مكوم و مجعد و غير صالح للنسيج، تشتري القبائل الصوف من الجلفة و من بوغار. (Gustave Couput, 1889, p. 58)

عادة في المنطقة يتم جز الأغنام في فصل الربيع، أواخر شهر ماي تجنباً لتعرض الماشية للأمطار أو الرياح القوية. و يقوم بهذه العملية رجال ماهرين في ذلك حيث يأتون للعمل عند من يدعوهم من ملاك قطعان الماشية، وقد تكون العملية عبارة عن تويذة حيث يتطوع الرجال للقيام بهذا العمل أو عملاً مدفوع الأجر، و يتم ذلك بواسطة أداة حادة تدعى الحزرة ثم تم تغييرها بالمقص، وخلال العملية يتم مسك الأغنام من الأرجل لتثبيتها (يكتفوه)، ثم يتم قص الصوف مع إصابة نادرة للحيوان حيث ينزع الصوف مرة واحدة ثم تمسك الحزرة من النهايات و تربط (عقد الحزرة) و يتم ترتيب الصوف تنازلياً حسب نوع الصوف كما يلي:

- صوف الجوانب (صوف الأكتاف والرقبة ويسمى السرورة).

- صوف أعلى الفخذين وأسفل الكتف.

- صوف أسفل الفخذين والجزء النظيف من الذيل.

صوف أسفل البطن و المخلفات أو صوف دون المتوسط و هو الصوف الأصفر

(R.Pgiacabetti, (s.d), p. 7).

بعد الانتهاء من عملية جز الصوف يمر بعدة مراحل لتحضيره و تجهيزه للنسيج، و هي مهام النساء بالدرجة الأولى، حيث تغسلن و تمشطن و تغزلن و تصبغن الى غير ذلك من مراحل تحضير الصوف (Bugéja, 1929, p. 231). وعموماً يمكننا اختصار ذلك في العناصر التالية:

ب-التنظيف: يتم غسل الصوف حيث يتم ذلك بالقرب من نهر أو واد، بوضعه

في الماء الكثير بهدف تخليصه من الشوائب العالقة به كالرمال و الشوك و غيرها، حيث ينقع

في الماء الجاري بهدف فصل الصوف الجيد عن الصوف الرديء، ثم يضرب بالعصي و يوضع ليحجف تحت أشعة الشمس (بوعبدلي، صفحة 1).

ج- فك تشابك الصوف: (البشيم) بعد أن يحجف الصوف يتم فصل الخصلات المتشابكة وتخليصه من الشوائب التي بقيت عالقة به، ويتم ذلك بتمرير الصوف بين أسنان المشط، هذه العملية تجعل الصوف طويل وأملس ويتم استعماله للمنسوجات الرقيقة كالبرنوس، والصوف المتوسط يستعمل لنسيج الزرابي أو غيرها من المنسوجات الخشنة.

د-التقرديش: القرداش هو آلة تتكون من دفتين خارجها من الخشب و باطنها مسنن و تضع المرأة على فخذها دفة و تمسك الأخرى بيدها، و تضع بينهما الصوف بهدف تسريح الصوف و تصنع ما يعرف ب (الليق)، و هو عبارة عن لفافة صغيرة طولها حوالي 20 سنتمتر و هذه المرحلة تخلص الصوف من آخر ما علق به من شوائب (بوعبدلي، صفحة 2).

هـ-الغزل: تستعمل المرأة المغزل للقيام بهذه العملية بحيث تثبت طرف الليقة في رأس المغزل، وتعمل على تدويره برفق للحصول على ما يشبه الخيط، الذي تختلف عملية ترقيقه حسب العمل الذي تريد أن تستعمله من أجله، وفي هذه المرحلة تعد المرأة الطعمة وهي الخيوط الرئيسية اللازمة للنسيج ثم تقوم بلفها حول الذراعين لصنع كواسير.

و-الصباغة: الدباغة النباتية هي الأكثر استعمالا تحت الخيمة من أجل صناعة الفليج والقرارة ولوازم الخيمة، حيث تستعمل النساء لهذا الغرض قشرة الرمان كما أن هناك من يضيف سرة وورق البطمة مع إضافة أصباغ أخرى بالنسبة لبقية المنسوجات. (R.Pgiacabetti, (s.d), p. 9)

كانت الأصباغ التي تصبغها العائلات في جبل العمور هي أصباغ طبيعية تتمثل في اللون القرمزي و هو أحمر غامق و اللون النيلي و هو أزرق غامق و اللون الأسود بقشور الرمان الأصفر، و يحصل السكان على اللون القرمزي من نبات الفوة، و هو نبات صبغي تعطي جذوره اللون الأحمر وتنمو في كل المنطقة الجبلية من الجنوب، أما اللون الأزرق فيتم الحصول عليه من نبات النيلة، و اللون الأصفر بنبات يدعى الصفار وهي شجرة الكرمل، و يمكن الحصول على ألوان أخرى حسب الحاجة من مزج بعض هذه الأصباغ، و يتم تثبيت الألوان بالشب بوضعها في المحول المخصص لصبغ الصوف، ويعتمد الحصول على درجة معينة من اللون على درجة حرارة المحلول الذي يوضع فيه الصوف حسب اللون المراد

الحصول عليه (Le Lieutenant Colonel. Villot, 1888, p. 335). ثم تغيرت عمليا هذه التقنيات وكان المتخصصون في الصباغة بأفلو هم اليهود خاصة خلال فترة الاحتلال الفرنسي للمنطقة. (Maguelonne, 1970, p. 4)

2.II - مراحل تحضير المنسج:

يتم تحضير القيام و هي الخيوط المخصصة لصنع المنسج و تكون متينة، و قبل بدء عملية السدوة تقوم المرأة بتقدير عرض و طول النسيج المراد صنعه، و كثيرا ما تستعمل لذلك يدها و أصابعها و ذراعها، ثم تقوم بتثبيت وتدين على الأرض، و تجلس امرأتين كل واحدة أمام وتد، و تتبادلان كرة القيام بينهما و أحيانا تفعل ذلك امرأة ثالثة لتسهيل العملية، بحيث تقوم النسوة بلف الخيوط حول الوددين بتقنية معينة من أعلى الودد إلى أسفله، و يتم مسك الخيوط عند كل وتد بخيط قوي يدعى العوان لإحكام خيط السداية، و في الأخير يظهر على طرف كل وتد ما يشبه الضفيرة، بعدها تنزع النسوة الخيوط من الوددين بحذر لتنتقل الى النول الخشي العمودي. (بوعبدلي، صفحة 3)

يتم تثبيت الطرف السفلي بواسطة ابرة كبيرة، و تدخل في ثقوب صغيرة تدعى (عيون السداية) موجودة في الخشبة السفلية و تكون من جريد النخل، بحيث يلف حولها القيام قليلا و تثبت الخشبة جيدا الى الأرض من طرفها بواسطة شيء ثقيل، بينما يثبت الطرف العلوي بواسطة جريدة أخرى، تثبت الجريدة السفلية و العلوية في ركيزتان عموديتان مثبتتان بدورهما من الأعلى بوتدين على الجدار الذي يسند إليه المنسج، كما يتم تمرير خيط و عصا بين الخيوط المزدوجة للسلسلة بهدف فصلهما عن بعضهما، و الصف الداخلي من السلسلة يشد إلى النيرة، تمرر هذه الخيوط على خشبة ملساء ورقيقة نوعا. ما كما تقسم السلسلتين بقصبة تدعى قصبة النيرة لأنها تكون أسفل الخشبة السابقة من أجل حركة الأعلى (الرفدة) و حركة الأسفل (الحطة) بعد كل عملية نسيج. ويثبت خيط قوي يدعى (الترقلا) بطرفي خشبة النيرة يثبت كل منهما بوتدان (جبادات) مثبتان بدورهما الى الجدار.

و من جهة أخرى يشد النسيج بواسطة (عضاضات) من كلا الطرفين و هذا مع بداية عملية النسيج للحفاظ على عرض ملائم و متساوي، بواسطة أداة خاصة بها فتحتان حديديتان بداخل كل منهما خشبة صغيرة، يمسك بها طرفا المنسج و تمدد بخيط الى الخشبنتين العموديتين ليثبت جيدا و بإحكام (R.Pgiacabetti, (s.d), pp. 13-14).

وتتم عملية النسيج بواسطة آلة يدوية تدعى (الخاللة) والتي تمسك من مقبضها الخشبي ويتم ضرب الخيوط المتماوجة للحممة بما لرصها بشكل جيد بواسطة أسنانها الحديدية. (بوعبدلي، صفحة 4)

II.3 تقنية نسيج زربية جبل العمور(الفراش):

كما ذكرنا سابقا سجاد جبل العمور من حيث التقنية ينفذ بواسطة الغرزة المعقودة (Despois, 1957, p. 70)، حيث تنفذ الغرزة المعقودة باليد على خيوط السلسلة، وهذه التقنية في النسيج منتشرة في عدة مناطق من الجزائر، بحيث تم ادخال هذا النوع من النسيج مع الفتح الاسلامي لبلاد المغرب (G.Trouvette, 1930, p. 4). وهذا النوع من النسيج يتكون من ثلاث عناصر أساسية وهي:

أ-خيوط السدوة: وهي خيوط القيام المزدوجة التي تحمل وتمدد بين الخشبتين العلوية والسفلية اللتان تدعمان الزربية في النول الخشبي كما تم توضيحه فيما سبق. (G.Trouvette, 1930, p. 4)

ب-خيوط الطعمة: بعد نهاية صف من نسيج الغرزة المعقودة كله، تمرر النساء خيطا يشبه ذلك الذي تنسج به الغرز، يدعى خيط اللحمية بين خيوط السدوة بشكل عرضي و تراعي في ذلك رفع أو حط القصبية الى حد النيرة، و تستعمل نفس الخيط من أول خيط في السلسلة الى آخر خيط منها (Dermenchem, 1960, p. 177)، ثم تعود به مرة أخرى و تقوم برصه بالخاللة لجعل النسيج متينا، لأنه اذا كانت خيوط اللحمية رقيقة و مضغوطة جيدا تكون خلفية الزربية منتظمة، و الا فإنها تكون خشنة و منتفخة و هو ما ينقص من قيمتها الجمالية. (G.Trouvette, 1930, p. 4)

ج-العقدة: سبق و أن ذكرنا أن زربية جبل العمور تنسج بتقنية الصوف العالي و الغرزة المعقودة (Dermenchem, 1960, p. 177) حيث تقوم النساجة بعقد الغرزة بخيط الطعمة في خيطين متجاورين من خيوط القيام، ثم تنزلها الى الأسفل و تقطع أطراف الخيط على بعد معين من العقدة (G.Trouvette, 1930, p. 4)، و تكون العقد جنبا الى جنب على طول سلسلة السدوة بشكل أفقي، و عندما ينهي النساجون صفا كاملا من العقد، يتبع ذلك بتمرير خيوط اللحمية بين خيوط السلسلة المزدوجة أفقيا عدة مرات، ثم ترص ذلك بالخاللة. (R.Pgiacabetti, (s.d), p. 14) هذا و تتوقف جودة الزربية على جودة خيوط السدوة و خيوط الطعمة و التكتل الجيد لخيوط اللحمية مع العقدة. هذه الزرابي

التي تنسج بالغرزة المعقودة يمكن مقارنته بالسجاد التونسي، وهي موجودة في سطيف و بوسعادة و الشلالة و أفلو و تيارت و القالة و تلمسان (G.Trouvette, 1930, p. 4).

وبعد توضيح عناصر النسيج ذي الغرزة المعقودة، يمكن المرور الى تقنية نسيج زربية جبل العمور حيث تجلس النساء مقابل المنسج و يجلس (الرقام) خلفه، اذ تعمل من ثلاث الى أربع نساء خلف آلة النسيج (النول)، بشرط قدرتهن على العد بدقة عالية و استعمال المشط (الخاللة) لرص الصف المنسوج، بينما يجلس الرقام من الجهة الخلفية للمنسج للإشراف على التصاميم و توجيه النساء (Dermenchem, 1960, pp. 177-178). وقبل البدء في عملية النسيج يترك النساجون الجزء السفلي من سلسلة السدوة حر، يقدر طول هذا الجزء بحوالي 10 الى 15 سنتمتر وهذه الخيوط هي هامش الزربية وتصنع (شراشب) عند قطع الزربية. و بعدها يتم ادخال خيوط اللحمية بين سلسلة السدوة وهما خيطان بلونين أحدهما نيلي و الآخر أصفر بالتناوب لصنع شريط كقاعدة توضع فوقها العقد (R.Pgiacabetti, (s.d), p. 14). ثم تبدأ أول مرحلة من عملية النسيج هي حياكة الحافة السفلية أو الجزء المسمى (المبدى)، وهو عبارة عن شريط مزين بتصاميم هندسية ورسومات جميلة، باللون الأحمر والأزرق والأسود وأحياناً يستعمل الأخضر والأصفر. تعتبر حياكة الشريط المزخرف عملية أكثر حساسية الأمر الذي يتطلب نسيج الخبراء، ويتم بدقة وبطيء لأن هذا الجزء يحمي بقية الزربية، ويتدخل (الرقام) لتحديد مواضع التصميم (الرقمة) ولتصحيح الأخطاء.

بعد الانتهاء من نسج هذا الشريط يضع النساج الرئيسي (الرقام) على سلسلة خيوط القيام النقاط التي تحدد التصميم، حيث يقوم بحساب جيد للخيوط ليحدد مكان وضع العلامات الرئيسية، ويوزع التصميم بالتساوي على كل جانب، كل علامة يتم تعليمها بنقطة بيضاء معقودة وتقطع أقصر من الغرز الأخرى (Le Lieutenant Colonel. Villot, 1888, p. 358)، بحيث لا تظهر من الأمام بل تظهر من خلف المنسج أي من الجهة الملساء، ثم يملأ النساجون الفراغات بالغرز بألوان أخرى تقطع حسب الطول المناسب بسكين أو مقص. وعند نهاية أول صف من الغرز يتم نسج الحواشي الجانبية للسجاد، بحيث يترك النساجون عدد معين من خيوط القيام في جانبي النسيج، ويتم تمرير خيط خشن بينها يصنع من الصوف المخلوط بشعر الماعز، لتصبح أكثر متانة باعتبار هاذان الجزآن يحميان النسيج كله، ويحافظان على الغرز المعقودة داخل الزربية، ويختار لهذا العمل أمهر النساجون. ثم يمرر النساجون خيوط اللحمية فوق صف العقد وترص بالخاللة كما ذكرنا سابقاً. ثم يعلم الرقام

النقاط الأساسية في السطر التالي. وعندما يصل النسيج الى طول معين، يتم لفه حول الخشبة السفلية، وبالمقابل يحرق جزء من القيام من الخشبة العلوية، وهكذا تستمر العملية الى نهاية الزربية. وتنتهي الزربية بشريط منسوج كذلك الذي في البداية، ويكون أقل عرضا من الشريط السفلي ويدعى (الرأس)، ثم تقطع خيوط القيام على بعد يتراوح من 7 الى 10 سنتمتر، ثم تجمع الخيوط الأقرب الى بعضها و تصنع منها عقدة لصنع (شراشب) الزربية. (Maguelonne, 1970, p. 5)

يعتبر نسيج الزرابي من أعمال المرأة بالدرجة الأولى، الا أن الرجال شاركوا فيه كذلك و اضافة الى النسيج كان الرجال هم المصممون (الرقامون)، و يظهر عمل الرقام في العديد من المناطق في الجزائر منها منطقة جبل العمور، وان كان النسيج يعتبر عملا أثويا بحثا في كل المناطق فالرقام في أفلو ليس حائكا فقط، و انما هو المصمم و الفنان الملهم فالنساء تنسجن من داخل النول والرقام يراقب التصميم من الجهة الأخرى خارج الزربية. و أحيانا يقوم بالعمل الرجال فقط أحيانا تقوم النساء بذلك بمفردهن، و حتى تتأس احداهن المجموعة و أحيانا يشارك الرقام الى جانب وضع التصميم في عملية النسيج، و يعتبر الرقام من الشخصيات البارزة في القصور و في بوادي منطقة أفلو. (Dermenchem, 1960, pp. 177-178). (Maguelonne, 1970,, p. 5). حيث يتم صنع زربية جبل العمور (الفراش) من طرف الرقام فهو المصمم الذي يتوقف العمل عليه، فهو من يعطي الرسومات و المخططات و يحدد الألوان، و هو الذي يبدأ عملية النسيج ثم بناء على تعليماته تبدأ النساء في العمل (Murusia, 9 Année, 1928, p. 897). و عليه فالرقام يعتبر من الشخصيات الاستثنائية و الهامة في حرفة النسيج كونه هو المبدع الحقيقي لتصاميم زربية جبل العمور، يحتفظ في ذاكرته بالعديد من المواضيع الهندسية و يجمعها و يبتكر تصاميم فريدة، و مخططاته و أفكاره تلهم النساء اللواتي تمارسن نسيج الزرابي فتفندتها بدقة عالية، و غالبية هذه التصاميم يستوحىها الرقام من الحياة اليومية و طبيعة المنطقة و من ابداعه الخاص (Dermenchem, 1960, p. 177).

تحمل حرفة نسيج الزرابي بأفلو مثل بقية مناطق الجزائر العديد من العادات و التقاليد، و من بينها نذكر التوزيع، حيث تطلب النساء المساعدة من جارئاتها أو صديقاتها، سواء من أجل تحضير الصوف للنسيج أو من أجل المساعدة في عملية النسيج، و لا تردد النساء في قبول الطلب فتلبين فورا وتتجهن الى المنزل أو الخيمة المقصودة (Pommerol, 1898, pp.

(94-95)، فاذا تعلق الأمر بإعداد المادة الخام فكل امرأة تحضر معها لوازمها و آلتها مثل المشط و القرداش و المغزل، و في اليوم المنتظر تأتي النسوة للعمل منذ الصباح الباكر، و تتناول كل واحدة أداها حيث تقسم المهام حسب مجموعات مثل مجموعة المشاطة و مجموعة القرداشة و مجموعة الغزالة، و تقوم كل مجموعة بالعمل المخصص لها، و يتخلل هذه العملية احتفال فني عملي يلتقي فيه الصوت مع آلة الانتاج حيث تؤدي النسوة جملة من الأغاني المتعلقة بهذه الظاهرة (البرقوقي، 2012، الصفحات 97-98). كما لا تخلو عملية النسيج من ترديد الأغاني الفلكلورية من طرف مجموعة النساجين لشحد الهمم على مواصلة العمل الاسراع فيه. (Maguelonne, 1970, p. 8)

ومن العادات أيضا اعتقاد الناس أثناء عملية السدوة، أنه لا يجب تخطي حيوط السدوة بالأرجل، و بمجرد بدء النسيج لا يجب تحريك النول من مكانه فلا يحمل المنسج من مسكن لآخر. وفي اليوم الذي ينصب فيه المنسج يتم ذبح خروف في منطقة أفلو والبيض و اعداد الكسكس كمعروف، ليسهل الله عليهم العمل و يساعدهم و يقدم الأكل للحضور. وعندما يتم الانتهاء من نسيج الزربية يتم اعداد الكسكس و اللحم و يأكل الرقام و بعض النساجون فوقها. (Maguelonne, 1970, p. 8)

وبعد دراسة المراحل الهامة التي تمر بها زربية جبل العمور فانه لا بد من البحث في خصائص و مميزات هذه الزربية التي حثلت الصدارة بين الزرابي الجزائرية فما هي أبرز الخصائص التي تميزت بها هذه الزربية؟

II.4- خصائص زربية جبل العمور: يمكن حصر مميزات زربية جبل العمور في النقاط التالية:

- ما يميز زربية جبل العمور هي العناصر و المعايير التي تتشكل منها فهي محكمة الصنع و متينة و خشنة و تصاميمها الداخلية منتظمة و متوافقة مع بعضها ويرجع هذا الى عراققتها حتى أصبحت من أكثر الزرابي جمالا في افريقيا الشمالية تنسج بتقنية الصوف العالي و الغرزة المعقودة و تظهر التصاميم بشكل أكثر وضوحا في الجهة الملساء (Dermenchem, 1960, p. 177).

- ما يميز زربية جبل العمور هي وحدة الألوان السائدة فيها و تناسقها، و هي الأحمر الداكن و الأسود مع بعض العناصر النادرة الصفراء أو الخضراء أو البرتقالية (Maguelonne, 1970, p. 7).

العمور و النابضة بالحياة، تشبه تلك الموجودة في تركيا و بلاد فارس من حيث تعدد الألوان التي تجعل أرضية الزربية تتألأ (Bugéja, 1929, p. 231).

-ان الرسومات والتصاميم التي تزين زربية جبل العمور تتميز بالانسجام والبساطة وتكون غالبا زخارفها من العناصر التالية:

*مربعات ومعينات تشبه الأماسة وهو العنصر الأساسي(الرئيسي)

*الشكل الآخر هو خط يشبه المشط بسبب الأسنان التي يحتويها يكون عادة باللون الأسود أو الأبيض أو الأزرق الغامق على خلفية حمراء داكنة، و هناك العديد من المتغيرات لهذا الخط الثانوي (Dermenchem, 1960, p. 177)، و يحيط المشط بالجوانب الأربعة للشكل الرئيسي المربع أو المعين، و هذا ما يجعل أرضية الزربية ذات زخارف تشجيرية و هندسة متشابكة(de Bovet , 2016) . و يتم تحقيق توازن الزخارف على أرضية الزربية عن طريق التكرار المنهجي للزخارف وفق التواتر المختلف لعناصرها (Maguelonne, 1970, p. 6).

- و قد استطاعت زربية جبل العمور بأفلو عبر تاريخها الحفاظ على التصاميم الهندسية الخاصة بها، و استفادت من مختلف الحضارات الانسانية التي مرت بها المنطقة، و استطاعت الحفاظ على تصاميمها الهندسية و الزخرفية خلال فترة الاحتلال الفرنسي للمنطقة، مقارنة ببعض الزرابي ذات الصوف العالي في مناطق جزائرية أخرى (Bel, 1931, p. 372).

أما عن مواضيع هذه الزخارف و أصل هذه الهندسة، فالواضح أن كل ألوانها مستوحاة من الطبيعة، و رسوماتها و أشكالها ذات دلالة ترمز للحضارات و الحقب التاريخية التي مرت بها منطقة جبل العمور (Maguelonne, 1970, p. 3)، فهندستها الخشنة و الرصينة في الوقت نفسه تتوافق مع الطبيعة الجغرافية القاسية، التي هي عبارة عن سهول قاحلة ذات أفق شاسعة، تحدها الحواف الحادة للجبال التي تغطيها نباتات متناثرة (Maguelonne, 1970,, p. 1).

كما أن تصاميمها الهندسية مستوحاة من الموضوعات التقليدية الأمازيغية⁸، التي تحتويها مختلف المنسوجات الأخرى في جبل العمور (Despois, 1957, p. 71)، و التي تظهر أيضا في الأوشام المغاربية و الرسوم الليبية، وهذا ما يدل على عراقة هذه التصاميم (Dermenchem, 1960, p. 177). و في هذا الصدد يمكن ذكر قول "جورج ماري" سنة 1896م التالي: "بالنسبة للبربر يعبرون عن زخافهم بالخطوط و الأيونات البسيطة و

بالنسبة للعرب فان زخارفهم ناتجة عن تأثرهم بالمروج و المراعي الأمر الذي يتطلب لوحة رائعة و ألوانا لامعة تنعكس على الألوان البسيطة" (Murusia, 9 Année, 1928, p. 897). و نتج عن ذلك أن أصبحت زربية جبل العمور بأفلو مزيجا من النسيج العربي الشرقي مع النسيج الأمازيغي (Dermenchem, 1960, p. 177)، حيث تم مزج العناصر الزخرفية العربية مع العناصر الهندسية للأمازيغ، و هو ما أعطى لزربية جبل العمور ميزة خاصة.

كما تأثرت أيضا بأنماط زخرفية أخرى خلال الفترة الحديثة، فخلال القرن 16م ظهرت في تركيا مراكز لصناعة الزرابي، ثم بدأت بتصدير انتاجها الى مختلف المناطق التابعة للدولة العثمانية، و منها الجزائر التي كان حكامها يعيشون فترة ازدهار، ما ساعدهم على بناء الدور الفخمة و عملوا على زخرفتها و تأثيثها بالزرابي العثمانية، التي كانت تقدم أيضا كهدايا للمساجد و الزوايا و أضرحة الأولياء الصالحين، و لقد كان للسجاد الخاصة بالصلاة التي أدخلت الى الجزائر أثر واضح في تطور الزربية و اثرائها، و الناظر للزرابي المنسوجة بالجزائر شمالا و جنوبا يجدها متأثرة بدرجات متفاوتة سواء من حيث العناصر الزخرفية أو الألوان (حنفي، 1999-2000، صفحة 9). بل هناك من يذكر أن العثمانيين أطلقوا على رقمة زربية جبل العمور اسم "الخنزاشية" نسبة لامرأة عثمانية تدعى الخنزاشية عملت على الابداع في هذه الزربية (شنيينة، 2016، صفحة 130).

كما أنه لا يستبعد تأثر زربية جبل العمور بعناصر زخرفية أخرى وافدة من مناطق أخرى فزخارفها التشجيرية وهندستها المتداخلة، التي هي عبارة عن مربعات أو معينات مع خط ثانوي كثير التغير، تشبه تلك الموجود في السجاد الروسي وسجاد مناطق السويد، وبالنظر الى العلاقات التجارية الواسعة التي تربط هذه المناطق بالدولة العثمانية، فانه ليس من المستبعد أن يجلب العثمانيون هذه الأنماط من السجاد الى الجزائر، وتنتشر بعد ذلك في مختلف المناطق بين القبائل المختلفة (de Bovet , 2016). وهكذا فان أصول هذه الزخارف ناتجة عن تمازج وتداخل العديد من العناصر البشرية، التي انصهرت عبر تاريخ منطقة جبل العمور، وساهمت ثلاث حضارات متنوعة في زربية جبل العمور، بدءا بالصنهاجيين الأمازيغ مرورا بالعرب الى الأتراك العثمانيين، لتعطيها الأشكال والرسومات والألوان التي تميزها عن غيرها من الزرابي الجزائرية، والغالب على نمط التصاميم والألوان هو أنها مستوحاة من البيئة الطبيعية وبالتالي هي ناتجة عن تفاعل الانسان مع بيئته التي يتأثر بها ويؤثر فيه.

-هناك سمة أخرى لزربية جبل العمور بأفلو، و هي الحافة أو شريط النسيج الذي تبدأ به و تنتهي به الزربية، و تعرف في أول النسيج (بالمبدى) و في آخره تسمى (الرأس) و هي تقنية تزيد من قوة النسيج، و تحافظ على الصف الأول و الأخير من الغرز المعقودة، و تتكون من ألوان متعددة و منمقة برسومات جملة و هو نسيج أملس (مسطح) و يحتاج الى متقن للنسيج ليقوم به نظرا لصعوبته (R.Pgiacabetti, (s.d), p. 14).

-الميزة الأخرى هي الحواشي تأخذ شكل أشرطة، وهي بمثابة اطار يؤطر أرضية الزربية من الجهات الأربعة في الأسفل و الأعلى (أفقية) و من الجانبين (عمودية)، تنسج الحاشية السفلية بعد النسيج المسطح السابق، و أما الشريطان الجانبيان فيبدأان مع الحاشية السفلية، أما الحاشية العلوية فتنسج بعد نهاية أرضية الزربية، و تحتاج العملية الى عمال ماهرين نظرا لصعوبة العملية و دقتها، بحيث تلف الخيوط الأولى من القيام في الجانبين بخيوط متينة ثم تنسج الأشرطة التي تزين عادة بتصاميم تشبه تلك التي تزين أرضية الزربية (R.Pgiacabetti, (s.d), p. 14).

-الأرضية و هي داخل الزربية و تتحكم في أبعادها الأماكن التي ستوضع فيها و التقنيات المستعملة في النسيج، فمثلا نسيج الزرابي في الخيام يختلف عنه في المنازل الواسعة، و كانت أبعاد زربية جبل العمور (الفراش) واسعة جدا، تصل الى تسعة أمتار طولا و ثلاثة أمتار عرضا ثم أصبحت ستة أمتار طولا و متران عرضا (Maguelonne, 1970, p. 6).

III. زربية جبل العمور بأفلو خلال الاحتلال الفرنسي :

III.1 -المشاريع و الدراسات الفرنسية:

أبدت الادارة الاستعمارية منذ بداية الاحتلال اهتماما واضحا بالحرف المحلية خاصة النسيج، لهذا تم انشاء قسم الحرف اليدوية، و قامت دراسات منهجية الهدف منها تحسين تقنيات هذه الصناعة، و التوجه نحو الصناعات الحرفية التي تقدم لفرنسا منافع اقتصادية حقيقية (Revault, 28 Mais-5 Avril1955, p. 63) بل أصبحت مسألة الحرف هي الشغل الشاغل لسلطات الاحتلال، لما لها من أهمية كبرى في الجزائر باعتبارها جزءا أساسيا لانعاش الاقتصاد الفرنسي، و الحفاظ على استقرار المجتمع في الجزائر من خلال التظاهر بمساعدة السكان المحليين على تطوير هذه الحرفة، حتى لا يجدوا أية معارضة أو مشاكل أمام تحقيق أهدافهم الحقيقية (Flack, 1927, p. 7). وسعيا منهم لإحداث نهضة في صناعة الزرابي، وذلك للاستثمار في هذه الحرفة والاستفادة منها في الجزائر، فقد

قدم العديد من المهتمين في هذا المجال مبادرات عامة وخاصة، وتم التفكير في انشاء العديد من المدارس العاملة، وتقديم دورات تكوينية وتدريبية في مدارس ابتدائية أهلية، باعتبارها تشكل قوة عاملة ماهرة للعمل في المنزل والمصانع وذلك لتخسرها لأغراضهم الاستعمارية. فأوجدوا لتدخلهم في الحرف المحلية مبررات من خلال الادعاء بأن حرفة النسيج في الجزائر خاصة الزربية شهدت تراجعاً مع أواخر القرن 19م وهذا يرجع الى:

- أن هذا الفن لم يتم تجديده و لم ينظم اذ لا توجد مراكز تصنيع حقيقية و لا ورشات عمل قائمة بذاتها (Murusia, 9 Année, 1928, p. 895).

- تراجع عدد العمال الماهرين المتحمسين لهذه الصناعة أو تسليمها لنساء تجهلن هذه الحرفة أدى هذا الى تراجع وانخفاض كمية الانتاج.

- خضوع هذه الحرفة الى مصممين يفتقرون للمهارة و الذوق السليم، فاستخدموا ألوانا حادة أو باهتة عندما تخلوا عن الأصباغ النباتية و اعتمدوا الأصباغ الكيميائية (Bugéja, 1929, p. 332). كما أن الأشكال و الزخارف تطورت بشكل عشوائي مما أدى الى تشويهها (Murusia, 9 Année, 1928, p. 895).

و الظاهر مما ذكر سابقاً أن هؤلاء، و بعد الدراسات و الأبحاث التي قاموا بها حول النسيج بصفة عامة و نسيج الزرابي بصفة خاصة، أرادوا أن يقدموا مبررات تثبت صدق و أحقية تدخلهم في هذه الحرفة المحلية، و التي بشهادتهم هم مارسها و برع فيها سكان الجزائر منذ فترات موعلة في القدم، و هذا ان دل على شيء فإنما يدل على التحايل و محاولتهم اثبات أن الزرابي كانت تحتاج الى اعادة تقويم، من طرف خبراء و مختصين في هذا المجال، يحرصون هم على تكوينهم لينسبوا لأنفسهم فضل و شرف تجديده و تطوير هذه الحرفة، و أن السكان المحليين كانوا عاجزين أو غير متمكنين من فعل ذلك.

وفي إطار تركيزهم على جعل الزرابي مصدر دخل هام للاقتصاد الفرنسي في الجزائر، فان سلطات الاحتلال نظمت معرضاً سنة 1900م، خاص بالزربية ذات الصوف القصير (العظم)والذي اهتم بتطوير السجاد ذي الجودة العالية. (Revault, 28 Mais-5 Avril 1955, p. 63) ثم جاءت سنة 1925م التي انعقد فيها مؤتمر نتج عنه انشاء دار الحرف في الجزائر، ثم تأسيس 309 مصنع محلي في الجزائر، و أهم مراكز التصنيع كانت توجد في الجزائر و وهران و تلمسان و مزاب و القالة و أفلو و غيرها (Murusia, 9 Année, 1928, p. 897). و كانت هذه المراكز مسؤولة عن جميع نماذج السجاد القديمة

مثل زربية أفلو، زربية القالة، زربية الحضنة و زربية قرقور، و انشاء لكل نوع من أنواع السجاد المحلي مركز، يقوم بالبحث يخضع لمراقبة لجنة استشارية فنية، و بهذه الطريقة سيتم تزويد الحرفيين المحليين بنماذج يريدون من وراءها إرضاء عملائهم لتحقيق الأرباح (Flack,, 1927, p. 7).

كما كلفت سلطات الاحتلال "بيير بوردنسن" بتدريب الحرفيين، فشكل غرفة الحرف الأهلية و تم تكوين ورشات، يتم فيها الغزل و النسج الزرابي و تكوين متدربين في حرفة النسيج لنشر الحرف في المناطق المختلفة، و تكوين نواة لتطوير هذه الصناعة في المدن و الدواوير، و يصبح المتدربون حرفيون يعملون في المنازل لحسابهم الخاص، لإمداد السوق الفرنسية بالكمية اللازمة من الزرابي و يمكنهم بيع منتجاتهم، و تكون الحرف اليدوية الوسيط بين الحرفيين و المشترين ثم يتم ذلك بواسطة مؤسسة انتاجية، و هذا يخلق تدفقا تجاريا مستمرا من أجل تحقيق قدر أكبر من التنمية للاقتصاد الفرنسي وتحولت الزرابي من حرفة فنية الى سلعة للكسب لدى الأوروبيين (Bugéja, 1929,, p. 232).

ان منطقة أفلو و عين ماضي و الأغواط و غرداية أصبحت مراكز لعمل و نشاط الراهبات المعروفات "بأخوات السيدة الافريقية" و "الأخوات البيض"، مارسن نشاطهن الذي كان ظاهره تعليم فتيات هذه المناطق دروسا في الخياطة و النسيج، و باطنها خدمة الكنيسة و العمل على تحبيب المسيحية للسكان المحليين من خلال التظاهر بتقديم المساعدة لهم⁹، و كن يوظفن في مراكزهن فتيات من السكان المحليين بهذه المناطق، لصناعة الزرابي و الستائر الخاصة بالخيام التي كانت مطلوبة بشكل كبير، بسبب انتظام التصاميم و جودة النسيج، و التي استعملت لتزيين الصالات الأوروبية (R.Dassonvill, 1934, p. 512). و يبدو أن هؤلاء كانوا يعملون على تحقيق أهداف خطيرة، تبدأ بالتقرب من السكان من خلال التظاهر بمساعدتهم في تطوير حرفهم خاصة النسيج، الذي كان عمل عائلات كثيرة و مصدر دخلها، و ابداء أن نواياهم حسنة تنحصر في تحقيق التنمية الاقتصادية لهذه العائلات و بالتالي يقللون من امكانية رفض تدخلهم و هذا من أجل تحقيق مصالح الاحتلال ذات الوجهين أولهما العمل على تنصير السكان و ثانيهما اخضاع نشاط الأخيرين لمراقبتهم بل يصبحون تحت اشرافهم و بالتالي يضمنون تدفق كبير في الانتاج يعود بالدرجة الأولى بالنفع على سلطات الاحتلال على حساب مصالح السكان الاقتصادية و على حساب قيمهم الاجتماعية و الثقافية.

و الظاهر أن ورشات الحرف اليدوية و المدارس الحرفية في أفلو و الأغواط و عين ماضي عملت على ادخال تغييرات على زربية جبل العمور (Revault, 28 Mais-5 Avril 1955, p. 63) منها:

-استعمال الصوف المتوسط في النسيج، و استعمال ألوان جديدة تتمثل في اللون الأبيض، الرمادي، البني، البني الفاتح و الأسود (Murusia, 9 Année, 1928, p. 897). حيث تم البحث عن الألوان القديمة التي كانت مستعملة، من أجل اعادة انتاج هذه الزرابي و ادخال أفكار جديدة لتحديدتها لأنهم اعتبروها قطعة أثرية واستخدموها كتحف فنية لتزيين منازلهم (Bugéja, 1929,, p. 232).

-قامت غرفة الحرف بأفلو التي كان يديرها الرهبان "الآباء البيض" بتوسيع أبعاد النول(النسيج) للحصول على سجاد واسعة أكثر. كما قاموا ببناء نول متحرك أي لا يحتاج الى أن يثبت على الجدار وبالتالي يمكن نقل المنسج من مكان لآخر أو من غرفة لأخرى.

-العمل على الحفاظ على نفس البعد من أول النسيج الى آخره للحصول على سجاد مستوي. كما تم تغيير أبعاد زربية جبل العمور لتتوافق مع أبعاد الغرفة الفرنسية، فمثلا للغرفة العادية يتم صنع سجاد بأبعاد مترين على مترين، و للأماكن الكبيرة تكون أبعاد السجاد ثلاث أمتار على أربعة أمتار (R.Pgiacabetti, (s.d), p. 21).

-اعادة رسم التصاميم والزخارف وهذا خدمة لأهدافهم الدينية والتجارية وقد قام الراهب "جلبرت" مثلا في أفلو تحت اشراف "م مرساي" مدير متحف الآثار الجزائرية من أجل انتاج رسومات زربية جبل العمور. (R.Pgiacabetti, (s.d), p. 29)

أما عن أجور العمال في غرفة الحرف بأفلو فهي كما يلي:

-يتم الدفع للعمال عن غسل الصوف وتحضيره لتجهيز المادة الأولية للنسيج، وكان السعر يختلف حسب جودة التصنيع، فالصوف المغسول يكلف حوالي فرنكين للكيلو الواحد، أما الصباغ فيدفع له فرنكين الى فرنكين ونصف للكيلو الواحد المصبوغ.

-يحصل الرقام على أهم مبلغ مقارنة ببقية العمال نظرا لأهمية دوره، حيث يتقاضى (الرقام) من 50 الى 60 فرنك. أما عمال الحواشي يدفع لهم أكثر من عمال وسط الزربية لدقة عملهم.

-بالنسبة للنساء العاملات في المنازل فبالإضافة الى المواد الغذائية تتقاضين فرنك عن كل يوم، و في كثير من الأحيان يدفع لهن المبلغ كاملا عند الانتهاء من النسيج، أما في مراكز

صناعة الزربية فيدفع للنساجة اذا كانت ماهرة من 15 الى 25 فرنك و حتى الى 50 فرنك، كنوع من المكافأة عندما تكون السجادات طويلة جدا و تتطلب عملا لمدة ثلاث أشهر تقريبا، كما تحصل على هدية تتكون من قماش قطني وزوج من الأحذية أو أي شيء آخر ذو قيمة منخفضة، و يتم تغذية (الرقام) و العمال و يقدم لهم المأوى طيلة مدة عملهم، فسجاد بوزن 17 كيلو يكلف حوالي 150 فرنك -16 (R.Pgiacabetti, (s.d), pp. 17) (Gustave Couput, 1889, , p. 57). و كان التسويق السنوي للدواوير من الزرابي بأفلو يغطي حوالي 4000 متر مربع، عشرينها محتوم من طرف القسم الحرفي (Despois, 1957, p. 70). وتراوح سعر بيع زربية الملقوط خلال 1955م الى 15000 الى 45000 فرنك للمتر مربع.

ومنذ سنة 1947م ازداد الاهتمام الفرنسي بالنسيج، بعد التظاهرات الحرفية المقدمة في وهران ومناطق جبل العمور ومزاب، واتضح لهم أن قبائل أولاد يعقوب وأولاد ميمون والعجالات وأولاد نايل والأرباع وسكان مزاب، تنتج كميات هامة من النسيج مثل النمامشة والقبائل وضرورة الاستفادة من ذلك. كما تم تنظيم أسابيع دراسية خاصة بالفنون الحرفية و تقنياً من طرف وزارة الحرف اليدوية، منها الأسبوع السابع للفنون الحرفية المنعقد في الجزائر من 28 مارس الى 5 أبريل 1955م، الذي خصص لدراسة الأصباغ المستعملة في الجزائر و عقدت جلسات العمل في الجزائر و وهران و الأغواط، و الذي انتهى بتوصيات منها الحفاظ على الأصباغ الطبيعية فيما يتعلق بالحرف التقليدية، و تطوير استخدام الأصباغ المعدنية في معظم الصناعات ذات الطابع الفني و النفعي، و تحديث التقنيات الحرفية الأساسية، تطوير التدريب المهني و نشر النماذج بين الحرفيين و الحرفيات، اضافة الى التحسين الفني لمختلف الصناعات الحرفية¹⁰، و تنظيم تسويقها، و قد شاركت في هذا الأسبوع مجموعات من المراكز الحرفية في الأغواط و أفلو، و قدموا وثائق هامة حول النسيج و الصباغة و تصاميم زربية جبل العمور (Revault, 28 Mais-5 Avril 1955, pp. 59-63).

III.2- أثر الاحتلال على زربية جبل العمور :

ان الدراسات والأبحاث والمراكز الحرفية التي حرصت ادارة الاحتلال على القيام بها، من خلال ممثليها المهتمين بالحرف خاصة حرفة النسيج، ترمي من ورائها الى جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن طبيعة الأنشطة الحرفية للسكان، بهدف الوقوف على امكانيات البلد ثم اخضاعه لسياسة فرنسية ناجعة، واستغلالها لخدمة مصالحها وأطماعها الاستعمارية،

وهذا ما أرادت فعله مع زربية جبل العمور باعتبارها تحفة فنية راقية تعود بالنفع على الاقتصاد الفرنسي. (Murusia, 9 Année, 1928, p. 895)

و يمكننا حصر أثر السياسة الاستعمارية على زربية جبل العمور في ما يلي:

- قبل الاحتلال كانت حرفة النسيج حرفة عائلية، يتشارك فيها الجميع الرجال و النساء الصغار و الكبار، و تمارس في منازل القصور كما في خيام البدو على حد سواء، بل تتسع دائرة الحرفة الاجتماعية من العائلة الى القبيلة، حيث مارست العائلات في القبائل النسيج خاصة زربية جبل العمور، وهذا ما يخلق التعاون و التكافل بين الأفراد و الجماعات خلال المراحل التي تمر بها عملية النسيج من جز الصوف الى نسج الزربية (Despois, 1957, p. 70). لكن بعد الاحتلال تغيرت هذه المعايير بسبب تهافت الأوروبيين على الحرفة، و تدخلهم فيها و كأنها ملك لهم، بدعوى مساعدة المسلمين على تطويرها، و تحقيق التنمية الاقتصادية بين السكان المحليين، من خلال انشاء مراكز حرفية لصناعة الزرابي، و تدريب السكان ليصبحوا حرفيين متخصصين، فانهم بكل ذلك أضروا بالقوى العاملة المحلية التي كانت تقوم على العائلات، و أفسدوا التقنيات التي كانت قائمة بالنسبة لنسيج الزرابي، خاصة مع مجيء العمال من جميع الأعراق و الجنسيات، الذين كان يهتم بتحقيق الربح و خدمة مصالح فرنسا على حساب مصالح السكان و حرفهم التي توارثوها أبا عن جد ثم ساهموا في تدمير التقاليد الفنية و الثقافية (Bel, 1931, p. 373).

- قبل الاحتلال كان الانتاج موجه في الأساس لسد الحاجيات اليومية للسكان، فالقبائل تنسج الأغشية و الأفرشة و الملابس و غيرها من المنتجات النسيجية، فتحفظ بما تحتاجه منها و توجه الباقي للأسواق المحلية، ليتم بيعه للقبائل الأخرى من نفس المنطقة أو من المناطق المجاورة، و بالتالي يحدث نوع من التعاون و التكامل بين السكان، مما يزيد من قوة العلاقات الاجتماعية (Despois, 1957, pp. 70-71). لكن مع الاحتلال تغيرت هذه المعطيات فأصبحت المنسوجات خاصة زربية جبل العمور سلعة للتبادل في السوق، ذلك أن الاحتلال عرف أهمية هذه المنتجات في انعاش اقتصاده بل أصبحت جزءا أساسيا في ذلك، الأمر الذي نتج عنه تكوين مراكز حرفية متخصصة في نسج الزرابي بدءا بإعداد المادة الأولية الى نسج الزربية، ثم توزيع الحرفيين على الدواوير و المدن ليكونوا بدورهم مراكز لصناعة النسيج، و بالتالي الحصول على كميات كبيرة من الانتاج، حيث كانت هذه المراكز

في الحقيقة مصانع حقيقية تعمل على تصدير زربية جبل العمور، و بأسعار مرتفعة الى السوق الفرنسية و الأوروبية (Flack,, 1927, p. 7).

-بعد الاحتلال ظهرت سلعا جديدة تنافس السلع المحلية، وهو ما أدى الى انخفاض سعر البرنوس والحايك، نتيجة لمنافسة الأقمشة القطنية المنسوجة صناعيا. و بسبب السلع المنافسة و ارتفاع اسعار المواد الأولية، بدأت العائلات التي كانت تمارس حرفة النسيج تختفي تدريجيا، و تراجع اقبال النساء على النسيج شيئا فشيئا، و تحلى الكثير من الرقامون عن النسيج (G.Trouvette, 1930, p. 4). كما أن ارتفاع أسعار الأصباغ الكيماوية جعل السكان يعتمدون على اللون النيلي في الصباغة، و منه يحصلون على العديد من الألوان بسعر أقل تكلفة، ما أدى الى تدهور الزرابي في الجزائر بأكملها (Bel, 1931, p. 372). و عليه فان المنسوجات المحلية العريقة كانت مهددة بالزوال خاصة مع دخول أذواق جديدة، و محاولة اخضاع الزربية العمورية الى عادات بعيدة عن عادات المنطقة التي طالما حملتها هذه الزربية في كل مراحلها (Revault, 28 Mais-5 Avril1955, p. 63).

-كانت زربية جبل العمور تعتمد على الرقام فهو المصمم و المهندس و الفنان، لأنه المسؤول عن الرسومات و المخططات الخاصة بالزربية، و النساء تعملن تحت اشرافه، و كانت هذه الحرفة متوارثة بحيث يرثها الابن عن أباه، و تنتقل من جيل لآخر و هكذا يتم الحفاظ على هذا الارث الثقافي (Murusia, 9 Année, 1928, p. 895). لكن مع الاحتلال تم العمل على تدريب حرفيين متخصصين، و بالتالي لا يستبعد أن يكون هذا الأمر سبب في ترك حرفة النسيج، و التخلي عنها من طرف الحرفيين الجدد اذا لم يكن الدخل المادي جيدا، و بالتالي يكون هؤلاء أقل التصاقا بالحرفة و ليس لديهم الرغبة في استمرارها و توريثها للأبناء (Bugéja, 1929, p. 332) (Bel, 1931, p. 372).

خلاصة: من خلال ما سبق يمكن الوصول الى النتائج التالية:

-تعتبر حرفة النسيج واحدة من أهم وأبرز الحرف، التي مارسها سكان منطقة أفلو بجبل العمور مثل بقية المناطق الجزائرية، الا أنهم عرفوا بزريبتهم التي أخذت اسم الجبل الذي تقع عليه المنطقة، وعرفت باسم الفراش والفراشية، حيث لقيت رواجاً كبيراً بين بوادي وقصور المنطقة، وكانت موجهة أساساً لسد الحاجيات اليومية للسكان، وما زاد عن ذلك يباع للقبائل التي لا تمارس هذا النوع من النسيج في الأسواق المحلية.

-لقد لقيت هذه الزربية شهرة واسعة في الجزائر وخارجها، وقيمتها الجمالية تكمن في العناصر والمعايير التي تتشكل منها كالصوف وطريقة حياكته، فكلما كانت دقيقة فكلما ازدادت قيمتها، إضافة الى تشكيلتها الزخرفية التي تميزت بالانتظام والانسجام، ناهيك عن جمال وتناسق ألوانها ذات الأيحاء والتعبير.

-هذا ما جعل سلطات الاحتلال تسعى لتسخيرها لخدمة مصالحها، و الاستثمار في هذه الحرفة، فقاموا بمشاريع و دراسات لتطوير حرفة النسيج بما يتوافق و رغباتهم، فسحروا كل الامكانيات المادية و البشرية من أجل تحقيق مصالحهم التجارية، فعملوا على ادخال تغييرات على تقنيات النسيج و الألوان، و التصاميم لإرضاء أذواق عملائهم، و حولت زربية جبل العمور الى سلعة للتبادل في الأسواق الفرنسية، مستغلين ما تتمتع به من خصائص فنية، هي نتاج تضافر جهود مجموعات بشرية عديدة، بذلت مجهودات هامة لتطوير زربية جبل العمور، لتصبح لوحة فنية رائعة تعبر عن الحضارات و الحقب التي مرت بها المنطقة.

-لقد استطاعت زربية جبل العمور الحفاظ على زخارفها، وتصاميمها الهندسية، رغم محاولات الدخلاء الرامية الى تغييرها، الا أن هذه الزربية العريقة الموغلة في القدم أبت الا الصمود، والمحافظة على خصائصها ومميزاتها، بفضل سكان المنطقة الذين أحبوا هذه الحرفة، وتوارثوها جيلا عن جيل.

-لهذا فانه لا بد من الاهتمام بالحرف اليدوية، خاصة حرفة النسيج باعتبارها عنصرا اقتصاديا هاما، يساهم في التنمية المحلية، كما أنها عنصر جذب للسياح الأجانب، و ذلك من خلال تشجيع الأسر التي تقوم عليها من طرف الجهات المسؤولة و الوصية عنها.

-ضرورة اهتمام الأسر باستعمال زربية جبل العمور، كأثاث منزلي دائم الاستعمال كما كان الحال في الماضي، بدل استعمال الأفرشة الجاهزة المستوردة وبأسعار باهظة، وذلك لإعادة الاعتبار لهذه الزربية، وتصبح جزء من ثقافة تأثيث المنازل الصالونات للحفاظ على استمراريتها.

الاحالات:

¹-أفلو تقع قلب جبل عمور في مكان من الحجر الرملي في التلال الناعمة تقع قرب ضفاف واد مدسوس وهو ما ساعد على ممارسة الزراعة المروية في الحدائق إضافة لتربتها الصالحة للزراعة سكنتها قبائل بني راشد ثم مع القرن 11م شهدت توافد قبائل عربية كأولاد يعقوب و العمور. خلال الاحتلال كتن تابعة لدائرة التل و عاصمة الدائرة العسكرية المعتمدة في تيارت للمزيد أنظر:

Jeans Despois, **le Djebel Amour**, Presses Universitaires de France, Paris, 1957, p7102-103.

² - كتلة جبلية تنتشر تنوعاتها على مساحة منبسطة من الصحراء تحده شمالا قبائل أولاد خليف و قبائل الأحرار و من الشرق أولاد نايل و في الجنوب الأرياع و يحده من الغرب أهل ويعاقل و الأغواط كسال فالإقليم به تضاريس عديدة وهو ثري بالمياه أنظر: تروملي ، **الفرنسيون في الصحراء: يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية**، تر: محمد المعراجي، غرناطة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2013، ص 311.

³ - تاويالة تقع على كتلة جبلية تدعى التوميات أسست في القرن 17م قرب وادي تاويالة يمارس سكانها الزراعة في الحدائق و بعض الحرف كالنسيج و نظرا لموقعها في ممر القبائل البدوية كسعيد عتبة و الأرياع و أولاد يعقوب و الشعابنة فانهم يتبادلون منتجاتهم الحرفية و الزراعية بالتمر و الملح و الصوف الدواب التبادل يكون أحيانا بالنقود و بالمقايضة أحيانا أنظر: Jeans Despois, op.cit, p93-92.

⁴ - قصر يقع جنوب جبل لعمور خلال الاحتلال الفرنسي كان تابعا لمقاطعة وهران يقع وسط الرمال في أعلى القصر تقطع قبة المرابط سيدي أحمد بن يوسف جد سكان تاجرونة بما حدائق قليلة بسبب ندرة المياه نظرا للملحة مياهها يحيط به سور ذو أراج يمارس السكان الى جانب الزراعة بعض الحرف كالنسيج و الحرف الجلدية و الحدادة للمزيد أنظر:

C.Trumelet, **Histoire de l'Insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864**, Typographie Adolphe Jourdan, Imprimeur libraire, Alger, 1879, p160-161.

⁵ - أولاد ميمون بطنان أولاد ميمون الغرابة و أولاد ميمون الشراقة قبيلة من الأجواد أصولهم أشرف قدموا من المغرب الأقصى و أولاد سيدي حمزة أشرف أسلافهم من الحضنة و أولاد سيدي الناصر هم أيضا شرفة قدموا الى منطقة أفلو من التل الوهراني أولاد يعقوب من أصل هلالي بدو كانوا في الصحراء في منطقة الأغواط ثم طردهم الأرياع الى تاجرونة أما العجالات و أولاد سيدي ابراهيم فيرتبطون بأسلاف سيدي العجال مرابط أصله من الساقية الحمراء كل هذه القبائل كانت تسكن منطقة افلو بجبل لعمور للمزيد أنظر:

Jeans Despois, op.cit, p70.

⁶ - بالنسبة لقصر الأغواط فانه يصعب تحديد فترة تأسيسه حيث كان هناك قرية صغيرة قرب وادي الجدي ثم تدمرت و تفرق سكانها و ارتفعت أنقاضها مرة أخرى على يد الهلاليين حوالي 1045م ثم شهدت هجرات من مناطق مختلفة و أسسوا قصور متفرقة مثل قصر بن بوطة و قرية بومندالة و قصر بجال و قصر سيدي ميمون و قصر بادلة و قصبه بن فتوح و تم توحيد هذه القصبات على يد سيدي الجاج عيسى حوالي سنة 1700م لتشكّل قصر الأغواط الموحد أنظر: حلاوي على، **نماذج من قصور منطقة الأغواط** ، موفم للنشر، الجزائر، 2006، ص42.

⁷ - ذكر محمد بن الأمير عبد القادر عن هذه القصر مايلي: " و هذا القصر اختطه ماضي بن يقرب من أقيال العرب في المائة الخامسة لأول استيلاء العرب على المغرب الأوسط أيام العبيدين يحتوي على ثلاث مئة دار و تدخل له العين المسماة بالحصن في قناة و به صهاريج لجمع ماء المطر تسد عوز أهله و له من الحصانة والمتانة ما يبهر العقول و حوله من النخيل و الأشجار المتنوعة ما هو زينة للناظرين " أنظر: محمد بن الأمير عبد القادر، **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و مفاخر الأمير عبد القادر و أخبار الجزائر**، ج1، المطبعة التجارية، مصر، 1903، ص198.

⁸- تذهب أغلبية المصادر والمراجع الفرنسية الى الأصول البربرية لزربية جبل لعمور من حيث الألوان والتصاميم و يميزون بين الزربية البربرية و الزربية العربية و يصفون الأولى بالأصالة و العراقة و يعتبرونها متميزة عن السجاد العربي و العثماني في مظهرها الجمالي الفطري و هذا لا يعدوا عن كونه مجرد نظرة استشراقية لا تخلو منها هذه الكتابات. لأن زربية جبل لعمور هي نتاج تمازج و تعايش مجموعات البشرية التي سكنت المنطقة عبر تاريخها رغم محاولات الآباء البيض لتغييرها.

⁹-الدليل على ذلك القول التالي:"عملنا يجمع عمالا من كل المناطق المحيطة بجبل لعمور ساعد عمل الصوف العديد من الأسر التي قدمت لنا امتنانها لقد تلقينا الدعم بمنحة من الحكومة العامة... كنا دائما حريصين على تحسين وضعية الأهالي." أنظر

R.Pgiacabetti, op.cit, p29.

¹⁰- كان هدفهم ادخال تغييرات تتماشى مع طلبات عملائهم و الظاهر أنهم كانوا يدركون مدى خطورة ذلك على المنسوجات الخلية و الدليل على ذلك القول التالي:"و مع ذلك كان يخشى أن يؤدي تطور العادات و الأدوات و العادات الى اختفاء المنتجات كما كان يشغلنا في السابق التفكير في توجيهها نحو عملاء جدد و أسواق جديدة" ثم أضاف مشيدا بدور غرفة الحرف قائلا:" و يعود الفضل الى قسم الحرف اليدوية الى تفهمه لأهمية هذه المهمة و لعله ضد تشتت الجهود في هذا المجال بشكل متكرر من خلال تنسيقها وفقا لطريقة عقلانية" وهذا مايدل على اصرارهم على استغلال هذه الحرف لصالحهم و ان كان الأمر يعود بالضرر عليها و على أصحابها.أنظر:

Jacques Revault, op.cit., p63.

المراجع:

1-المراجع العربية:

1. أبو بكر الصديق بوعبدلي. (بلا تاريخ). مراحل اعداد النسيج التقليدي وأدوات. مديرية الثقافة لولاية الأغواط.
2. الزاوية البرقوقي. (ربيع, 2012). جدلية الفن والعمل في ظاهرة التويرزة بمنطقة سيدي بوزيد. مجلة الثقافة الشعبية(العدد17).
3. جاكو ترجمة: حليلة بابوش فيليكس. (2013). حملة الجنرال كافنيك في الصحراء الجزائرية خلال أشهر افريل وماي 1847. الجزائر: دار الرائد.
4. دوك دي دوماس. (2013). الصحراء الجزائرية، ترجمة: قندوز عباد فوزية. الجزائر: غرناطة للنشر والتوزيع.
5. عائشة حنفي. (،1999-2000). الزرابي الجزائرية في القرن 19 مجموعة المتحف الوطني للآثار دراسة أثرية فنية. مذكرة ماجستير. معهد الآثار جامعة الجزائر، الجزائر.
6. مختار شنينة. (،2016). زربية الشعانبة بين رسم الجمل وجز الصوف. غرداية: دار صبحي للطباعة و النشر.

2-المراجع الأجنبية:

1. Despois, J. (1957). *le Djebel Amour*. Paris : Presses Universitaires de France.

2. Pommerol, J. (1898). , **une femme chez les Sahariennes** : antre Laghouat et In-Salah. paris : Ernest Flammarion.
3. Revalut, J. (28 Mais-5 Avril1955). **la VII éme Semaine des Arts et Techniques d'Afrique du Nord Algérie**. Alger.
4. Bel, M. (1931, Octobre 5). " **la protection de la vie locale en Algérie**". Congrès International et Inter colonial De la société Indigène, 1. paris, Exposition Colonial International.
5. Bugéja, M. (1929). , **Vision d'Algérie**. Alger : Braconnier Frères Editeurs.
6. de Bovet, M. (2016, 01 25). /le tapis de Djebel Amour. Récupéré sur, <http://quintessenes.unblog.fr/2016/01/25>.
7. Dermenghem, E. (1960). , **Le Pays d'Abel** : Le Sahara des Ouled-Nail, des Larbaa et des Amour, (1960, Éd.) France,: Achevé D'imprimerie par L'Imprimerie Floche Mayyane.
8. Flack,, F. (1927, Juillet Dimanche 3). "l'**Artisanat en Algérie**". le Figaro.
9. G.Trouvette. (1930, Mars 21). " Tapis et laines". L'Africain(N75), p4.
10. Gustave Couput .(,1889) **Les laines et l'Industrie lainière de l'Algérie a l'Exposition de 1889** .Alger : Giralt Imprimeur du Gouvernement général.,
11. Le Lieutenant-Colonel. Villot .(1888) **Mœurs, Coutumes et institutions des Indigènes de l'Algérie** .Alger : Librairie Adolphe Jourdan.
12. Maguelonne, J. (1970). , " **les tapis du djebel Amour**". Publications du comité du Vieil Alger, V4.
13. Murusia. (9 Année, 1928, Mais 25). " **Les tapis Algériens**". le Mercure africain : Commercial, Industriel, maritime, minier,(N227), p. p895.
14. R.Dassonvill. (1934). **Archives de l'Institut Pasteur d'Algérie**, (Vol. T XII,).
15. R. Pgiacabetti. ((s.d)). **les Tapis et Tissages du Djebel Amour1830-1930**. Paris : Librairie Ernest Leroux.